"محاولة إنعاش"

تدقيق لغوي: هًديل الصنوي.

تنسيق:آيات عبدالرزاق.

الإهداء :

إلى صلاح عبدالرحيم العتيق
قبلك ..
كانت كُل الحُروفِ مُشرّدة والقصايد مختلة القوافي ..
وجميع السلالِم الموسيقية للأغاني مكسورة ..

إلى مواهب بنت محمد:
لا أعلَم كيف سأسير بعيدا عنكِ، فطفولنتي لم تنطوي، ما زلت أتخبّط إن لم تمسكي بيدي .

إلى من وضعوا الزهور على جدران روحي، و أقاموني حينما رنوتُ ضعفًا..
أصدقائي ..

إلى أحدهم
سلامٌ على الدنيا إذا لم يكُن بِها صديق صدوق صادِق الوَعد مُنصِفا

"مقدمة"

ليتَ الأوراقَ تصِف جيدًا ماهو كامِن بداخِل المرء، فالكبيرُ يغدو صغيرا حينَما يودُّ البوح والعربي يُصبِح أعجميًا، وتندَثرُ كل حروفِ اللغة في مكانٍ غير معلوم ..

لا شيء يصِف ولا شيء يُنصِف.

الفصل الأول
إستراحة محارب

عزيزتي

أجهل أي كلمات اللغة أنتقي كي أبدأ به، ولكنني سأنثر فقط ما يطرأ بذهني؛ فبعد كل هذه العثراتِ أجمعُ اشلائي لأكتُبها إليك ، كمن يبحث عن أجزاء أحجية في خضم البعثرة .
لا أستطيعُ وصفَ اهتِزاز يديّ الآن ولا كيف أفكّر في محوِ ما خططتُه كل مرة، حالي كالمُجاهِد الذي وهب حياته للحرب يرجو الغنيمة .
فأنا أحارب؛ لأجل إغتنامك وأواجه الموت باستسلام وكأنه ضيف آت أترقّبه بِلا موعِد .
وماذا إن حُزت عليك
ستنقلب حربي لوجه اخر دون راء معك .
أنت التي بحثت عنها كثيرًا، في الأشخاص والأوطان والبيوت وأرواح الأطفال وحتى المرايا ..

كله متعلق بك، لا أعلم كيف استطعت أن أكتنز هذا الثبات لأواجهك في أوراقي، ولكن الدافع الذي يؤزني هو كم قُصِم ظهري بين أركانِ الحياة القاسية وكم لبثت صابرًا في الظلام أرجو استراق وهيلة من النور لأجلك .
فأقمتُ ما تداعى مني حُبا لك ورممته إتزانًا كي أتهيأ للقيا على موعد مجهول .
لا أنسى أبدًا لحظاتٍ ظلمتُك فيها حينما تعِبت وجلست ينتابني اليأس من فكرة الجِهاد إليك، فعزفتُ عن الحِراك أردد في خاطري أكبر كذبة كتبتها علينا معًا، أنها إستراحة محارِب .
أتذكر مرحلة كنت أخوضها يصفها الكاتب أمل دنقل في كتابة "ناقة صالح" بدقة وكأنه يقصدني، حينما قال: وعلِمتُ أنّ الجذر يحمِل صامِتًا ألم التُّراب وأنا وأنت مسافتان لغربة السنوات اركض نحو شمسِك أم تحِنُّ إلى خرابي .

فأنا أصمت وأبدو ثابتًا كما هي جذور الأشجار ولكن من الداخل أتقطع .

أشعر بالنار تنتشِر في صدري كما ينتشِر الحريق في هشير الغاب .
وهذا صنع فُرصة لا تُفوّت من قِبل الغير لإنتِهازي والتمادي في إيلامي أكثر كل مرة .

أعترِف اني حينما نثرتُ أَوّل خاطِرة لم يكُن في الحُسبان أن اتخذ الأمر طريقةً للفضفضة، ولكن الدموع لم تكُن كافية أو أنها ليست الطريقة الأنسب التي يخرج بها حزني .

نص:

كم كلِمةً ناءَت بِها شفتاك في غياهِب جب الليالي البهيمة !

كم وَجعًا طوَيت عليه أضلُعَك الضعيفة، وكم مرة فاضَت عيناك دونَما قُدرة وتداركت دمعتك الرهينة، فحبستها طوعا لأجلِ الركنِ الخفي، أو البراحِ الخالي .

تستكبِر على شُعورِك بالوَهن، وتُكيل الكيلَ ضِعفا على الروحِ المُهانة !
تسترِق إبتِساماتٍ مُعادة !!
وملامِح وجهِك مُوسّمة بأختام المُجاملة ..

ظالِم أنت أقسى مِن كل الصحاري المُقفرة على زائِريها !

ومن الملوك المستبدين على الرقيق العابرين ..

ولكِنّك تجني على نفسِك فقط ..
هالِكٌ ذاتك في حفرِ قبرك ..
-
سيعجبك هذا النثر حتمًا، لانه كُتب بصِدق .
عزيزتي فنحنُ لا نكتُب ما يروق لنا فقط، ولكننّا أحيانا ننفُث بعضا مِنّا على الورق.

الفصل الثاني

إسهابات

الآن بعد كل هذا الضجيج الكامِن في أعماقي، أصبحت الكتابة بحرا أغسِل فيه أدرانَ الأسى وأرمم على شاطئه مراكِب قلبي التي أضنتها شِدّة الرياح .
فشخصٌ مِثلي يا عزيزتي يؤثّر به كل شيء، المواقِف والكلِماتُ وحتى النّظرات تجعلني أُفكر كثيرًا فيما إن كُنت أنا مخطئًا أو أنني المقصر في واجباتي تجاه الغير .
تؤججني هكذا كثرة التساؤلات حاملة معها أصفادًا ثقيلة تكبّلني بها في زاوية الريبة .
ألا يحِق لي بعد كل هذا تجنّب الأشخاصِ والإجتماعات، فلا أَحد يعرف كم أنت تُثقَل بعد كل نبرة عالية وضحكة استهزاء عابِرة أطلِقت عليك .
في تلك الفترة كان هذا شعوري لمدة لا تقل عن ثمانية أعوام أتألم ويضيق صدري فأعود أدفق في ماهية الأسباب التي تجعل تصرفاتهم بهذا الشكل ، وبالكادِ علِق في روحي الكثير من الندب الذي لم يستطع ماء بحري المالح إزالته .

نص :

إنَّه العام الثَّامِن لعَهدي، أحرُس نورًا في مُستَعمرةِ الظلام .
أبارِز شوكا مِن ضراوة الأنفُسِ وحدَّةِ الطباع، أتَقلَّب في عراء اليأس مرة ثم أذكُر إيلائي بأن لا أستسلِم .

حارَبت دونما صوتٍ، مُشادَّتي كانَت بكماء حتى الآن .
ينهَشُني فقري، أهيم على صَفحاتِ الخواء
أرسم حروفا مُسقاة بماء المُقل، ليَحمِلها غيم الزَّمن .
أحيانًا ..
أتزوَّد بأملٍ يَغلِب ضعفي، وأهوى نَسج حِبال الصَّبر مِن خيطِ اليقين .

كانَ الإنتِظار يواسي هَزيمتي حامِلا معَه الذكريات والرَّغبات ، لم أنتصِر ولكن وَصيَّتي إن حال بي الموت ..

قولوا للذي أطفأ وهج الحياة في عين شخصٍ كانَت أيامه بخير

فلنَلتقِ مرَّة أخرى هناك ..
في ذاك العالمِ البعيد، لأحكي لك كم عانَيت ..
وتخبرني كيف كان الله كريما معك، سامحتك منذ زمن طويل ..
إنتهى .

فتخيلي فقط يا عزيزتي كم الألم الذي كتبت به هذه الخاطِرة، أو دعيني أقول نزفت به هذا النص .
وسبب الجرح كان وصدة باب على وجهي من قبل صديق قديم حينما قمت بزيارته مرة، حاملًا معي أحاديثا كثيرة وعتاب مُحب لا لأئِم .
والعديد من الصفعات المشابهة التي جعلتني أُسهِب تفكيرا في كل موقِف، فأخذ الأمر مِن ذاكِرتي وجسدي، الذان كان يجب أن يكونَ لي فحسب ولكن تمت مشاطرتي فيهما وأخذت انا النصيب الأقل .

فكلّما تذكرت تألمت وتطور الأمرُ مع الزمن إلى هستيريا تُصيبني ونوبات قلق تصحُب الذكرى، لدرجة أنني لم أكن أعي ما السبب ولم تنتابني هذه التقلبات .

وبالكادِ أصبح تلاطُم الأفكار في عقلي حيال كل ما لقيت، أسلوب حياة وعادة ضارة لا أستطيعُ الإستغناء عنها مهما حاولت.

الفصل الثالث

أيها الساهر ليلًا بين ذكرىٰ الآفلين
هل أفاد اللَّيل يومًا في رُجوع الغائبين ..

كما تعلمين أنّ الليل وقتي المُفضّل لما فيه من الهدوء والسكينة، ولكن إنقلب الأمر ليُصبح ساعات أقيم فيها مراسِم العزاءِ لنفسي .
ففي كل مرة مات فيها شخص أُحبُّه لم يكن لي نصيب كاف من البُكاء أو الشعور بالأسى، جعلوني كالكلِمة الشّاذة بين ذوي من مات ..
لا يحق لي أن أحزن أو أعتكِف مع ذاتي في مِحراب الصَّبر كي أستطيع الثبات .
وإثر ما فعلوه بي، لم أتجاوَز المحنة التي تخطّاها غيري بكل سُهولة .
لدرجة أنهم الآن يبحثون عن ثياب العيد و البرامِج التي تُقامُ للإحتفال، وأنا لا زِلتُ أبحثُ عن عيد كان به إخوتي .
ويحتفل في صدري الحزن كبرنامج ثابت في كل مناسبة أشعر فيها بالفقد .
عزيزتي رغم المصاب ولكن نقص الأنفس وما يخلُفه بلاء ، فحينما تسلب منا أسبابُ الصَّبر المنطِقية ولا نجد من يُصابِرُنا في مصابنا أو يراعي أحوالنا، يجب أن نتعلم شيئًا يدعى فِقهُ الإبتلاء، تمسكت بعده بأسباب الصَّبر الربانية وبعد فترة من الزمن كان هذا سببًا لتخفيف حمولتي وأنا أسلك طريقي إليك .

الفصل الرابع

شمسُ الوضوح تسطع في عالمِ الظلام

تعرِفينني جيدًا، شخص غامض صامت لا تظهر على وجهي سوى إبتسامة كادَت تنقرِض .
حينما ينتابني الغضب أحذو تجاه العزلة حتى اهدأ .
لا يتضح علي شيء من المشاعر السلبية كثيرًا، عالمي تكسوه قُلنسوَة غريبة ويسود فيه الهدوء .
ولكن ماذا إن أحسست بالكتمان يؤرقني إثر كثرة التراكمات السلبية التي تتجدد كل يوم !
اود لو آتيك راكضًا بشكل أسرع، ولكن صدري أمسى يُثقِلني عن المضي .

لم يكن قرارا أتخذتُه ولا شيئًا أستطيع التحكم فيه ، فأتى الأمر على شاكلة صرخة عالية في لحظة غضب شديد صببته على وجه أحد أقاربي حينما استفزّني بحديث طاعِن وقد كانَت هذه هي المرة الألف .
وحينما توليت إلى دياري حاورتك كاتبًا إليك :
عزيزتي

مالي أُحادِثك في كل مرة أشعُر فيها بالزُّخم ..
وكأنّك أصبحتَ أحد عاداتي القليلة أو ربما الوحيدة .

المريب أنني لا أعلم شيئًا يستحِق الذكر لأَي كان ، بإستِثنائِك طبعا ..
والسبب يكمُن في شاكِلة المواقِف وكيفَ أبدو لكل من يَعرفني ..

تعلمين أنني لا أهتم برأيِ الناس عني، ولكن المَرء ضَعيف أمامَ بحرِ الحياة الذي لا رحمة أمام أمواجِه حينما يفيض .
فكيفَ يفهَمون أنك تغرقُ في تلك اللحظات التي كُنت تمُد فيها يد العون لمن حولك ..!
وتبسُم وأنت ضائق صدرُك .
لا يهم فالآن تقطعت كنزة تحمُلي وليس لدي ما أُرقّعها به .
عزيزتي هنالِك مترابِطات وعُقد لابد أن تُصيبها شمس الوضوحِ كي تستقِر .
وأن يعلو عليها الصوت حتى تصِل إلى مسامِع الذين لا يقدّرون صمتَك
فاريد ان يتضح لكل من يعرفني أنني أشعر !

لأول مرة أجد أنه يجب علي استبدال صمتي ببعض الكلام ، وأن أُدرِج مكان الغموض وضوحا يضعُ النقاط في اماكِنِها .
حلّ الخريف يُخرِج المزيفين من إطارِ حياتي ، ليبرُز الذين نبتوا في مكانهم زرعا مثمِرا أعانني على شخذِ همتي وإرتفاع مستوى قوتي وطاقتي .
إختارت الأقدار لي أناسا جدد ، وبعضهم كان بعيدا فاقترب حينما صعُبَت حالتي ليقيمني .
وتمّت غربلة حياتي المُكتظة بالكاذبين بنجاح .

الفصل الخامس

البحث عن السؤال

صعب جدا أن يكون المرءُ نكِرة غيرُ ملحوظ ، لا يأخذ سوى الحثالة في كل شيء .
الطعام والشراب وحتى المحبة ، وقد لا يجد

خصوصا في مُحيط من يحب هو لا احد يهتم به ولا احد يذكره إلا وقت حاجة أرادها منه .

إعتَزلتُ الغُرباء حينما لم أجِد قيمتي بينَهم ولكن ماذا إن كانوا هم أهل بيتي ، لا استطيع إعتِزالهم مهما حاولت .
وهنا أقصُد العزلة التامة .
فأنا بينهُم كالمحصور بين شيئين يؤذيانه ، إما التجاهل وإما الجلوس وحيدا ..
كارِه مجبور في كل الأحوال .
وكشخصٍ كتوم لا يعرِف الوضوح قبلا معهم ، بدأت عليّ تصرفات غيرُ مقبولة ، كُنت أُدرِك أنها كذلك ولكن السبب كان يُدعى لفتَ النظر .
ظننت أنني هكذا أُبرِز نفسي أمام قلوبهم ، وسُرعانما تطور الأمرُ إلى أُسلوبٍ سيء للغاية ..
قُمت بإستغلال مواقِفهم لنيل الإهتمام ، كأن أصرخ وأغضب لأتفه الأسباب كي أُثير حرصهم المزيف على قضاء أوطاري المتصنعة .
فالإهتمام إن لم يأتِ من تلقاء نفسه كان بِلا قيمة .

مالفائدة في أن تطلُب شيئا أنت تعلم دوافِعه جيدا بأنها ليست لك بل لأجلِهم .
ليتجنّبوا صُراخك ، أو ليتفادوا النقاشات التي تزعجهم أكثر من إشعارك بالحب ..

هذا لا يُهم ، فكُنت أصبو لغاية حمقاء بكل هذه الأفعال ، وهي سؤال واحِد تمنّيت أن يسألني إياه أحدهم .
" لماذا تغيّرت هكذا "
ليتَهم لو تفحصوا أنفُسهم جيدا على مِرآة الحقيقة ، لعلِموا آجابة سؤالِهم الذي لم ينطقوا بحرفٍ منه خشية على أنفُسِهم مِن خِلاف آخر ..

بدأت أقيس النبرات على سوء ظني ، وأحدد ردود فعلي على إطار نظراتهم .
أصبحت مشوشا بالسلبية ، مثخم صدري وعقلي بعدم الإستقرار ..
تنتابني أحيانا نوبات من الهوس المصحوب بالقلق في ما لا يُسمِن ولا يغني من جوع .
وفي مرة جلست أتصفح اجندتي القديمة كنت أكتُب عليها بعض الأشعار والخواطِر وجدت ورقة كتِبت فيها هذه الخاطِرة :

الجِهادُ لا يَتمثّل فقط في مُدافعتِك لأهواءِ نَفسك ، الجِهاد صَبر عَلى البلاء ..
إنكارُك للباطِل الذي حاكَه لكَ الشيطان حتى باتَ لك واقِعا لا مفرَّ منه ، قَد يكون الجِهاد إستِمرارية محاوَلتِك الإحسان في كل شيء ، كأن تُحاول بِرَّ والِديك حتى في أَعتى لحظاتِك التي لا تُطيق فيها نَسمةً عابِرة ..

اتصدقين أنني بكيت !
شعرت وكأن أحدهم يقبض على قلبي بقوة ، جهشْتُ بالبُكاء كثيرا حتى ابتلت أمامي الدفاتر .
قمت بغسل وجهي ولبِثت أفكر أو بالأصح أنني بدأت أعُضّ أصابِع الندم على أفعالي ..
حقا أنا من يجب عليه أن يطرَح السؤال على نفسه الآن ، لِم تغيرت هكذا ؟
لِم أصبحت شخصا سيئا ..

الفصل السادس

مِرآة كاذِبة

دارت سارِية الزّمن يا عزيزتي ، فانعطف مسيري إلى طرق مجهولة كثيرة المنعطفات . عصفت الإستفهامات برأسي ، وأصبحت رؤيتي للحياة ضبابية جدا حاولت كثيرا لوحدي تنقية الشوائب من حياتي ولكن الأمر بات صعبا للغاية . أرى جيدا تطفُّل الأتربة وهي ترتكز في ثنايا ذكرياتي القديمة ، تؤرقني جدا وأنا أحاول إزالتها .

ليت النسيان يُباع بأسماءٍ وأنواع وأماكن وعثرات مُعنونة ، كالعقاقير في الصيدلية تماما لكل شيء دواءه المتوفر .

تمنيت لو أستعين بأحد ما ويا ليته كان أنت ..

ولكن جُبَّ الظرف حال قاتِما للغاية ، للدرجة التي لم أستطِع بها أن أُبصِر مرتَع الدلو المعلّق لأبث آهات النجدة ..

على صدفة أثناء تصفحي الإنترنت ، وجدت مقالا في بدايتِه يحكي أعراضا كثيرة لم أكُن أُدرِك أنها بوادِر مرضٍ ما .

قارنتها مع نفسي وفوجئت بأنني مريض ، بداء ليس عضويا .

مرض نفسي ، لم أول الأمر اهتماما كما يجب وزححت الفكرة عن رأسي ، إلى أن حان موعد العمل وانتهت عُطلتي السنوية .

وفي صُبيحة أوّل يومٍ على غيرِ العادة أجِد نفسي كسولا للغاية ، أو بالأصح خامِلا مِن الداخِل ، لا أعلم كيف أصِف هذا الشعور ولكنه ليس الخمول الجسدي الذي نعرِفه حتما .

حاولت شحذ نشاطي بكوب من القهوة وبعض الشوكولاة ، علي أستطيع المضي افضل مما انا عليه .
لم يفير الأمر شيئا واستمر هذا الشعور فترات سحيقة يتزايد بشكل مستمر حتى أصبح ضيقا يصحبه بكاء بلا أسباب .
تذكرت المنشور الذي قرأته منذ فترة ، وبادرت بالذهاب لمقابلة طبيب نفسي ، وصف لي مضادات إكتئاب مع متابعة العلاج السلوكي .
شعرت بتحسن واضح مع الوقت ، وفي اليوم الذي صحوت فيه على إختفاء بعض الأعراض التي كانت تصيبني .
توجهت نحو مرآتي لأجد فيها خللا لم أُلحظه قبلَ اليوم ، أنها تجعلني اعرض حجما مما انا في الحقيقة .

توارد في ذهني ماذا إن كانت نظرتي لمن حولي خاطئة ، وأن أفكاري تعكس لي شيئا غير الحقيقة !
تغيرت بعض الأفكار السلبية لدي تجاه من حولي ، وكأنني بدأت اتحرر من ذلك الجُبَّ ..
ولكن قلبي لم يعد يشعر بالفرح أبدا .
أستطيع الضحك و المُزاح بإستثناء الشعور بالسعادة ، لدرجة أنني نسيت مذاق الحياة حتما .
فالذي يتعود على الفرح ينسى طعم الحزن والعكس صحيح ، لا بد من التباين في الحياة فبعض الحزن يزيد في مذاق الفرحة المقبلة .
ولكنني نسيت تماما كيف هو ، وكيف هي الطمأنينة وكل المشاعر الجميلة ..
حتى الحُب صار خوفا وقلقا من عدم اللقيا .

كان التحسن الملحوظ يرافقني ويقترب مني يوما بعد يوم ولكن الذي لم أستطع تغييره هذا القلب الجاحد ..
كيف يعذبني بهذه الطريقة .
وتبلورت أمامي آخر عقبة في الخروج من مأزقي المؤقت ، ففي اللحظةِ التي أدركت فيها أن مِرآتي كاذبة ، علمتُ تِباعا أنه يجِب عليّ إنعاشُ هذا القلبِ قبل فواتِ الأوان

..

الفصل السابع

وَمضة

إشتقتُ إلى كُتبي ، لم أكن أعلم أن المرء يحول بينه وبين ما يُحب بهذه الطريقة لدرجة أنه لا يتَذكر محبوبه إلا حينما يراه إن رآه !
لحِظت مكتبتي فبادرت بأخذ ما أتصفحه للكاتِب مصطفى محمود ، قابَلتني جُملة توقّفت عندها كثيرا وكأنني وجدت صديقا قديما على صُدفة .
كانت تقول : * سَقطت هالاتُ القداسة عن مُعظمِ الآلهة القديمة ، وأصبح كل شيء يقبل النقاش والجدَل والمراجعة ..! *

أليست الأم تحمل هذه الهالة من القداسة !
فكيف يستطيع إبن مثلي مناقشتها أو جِدالها في أمرٍ ما ، كيفَ يُمكن أن يرى الإبن أن نظرتُه صحيحة على عكس والدته ..
وَمض في ذهني الحل الذي اظن بل أكاد أتيقن أنه سيدرأ عني عذابي ، فالقميص يُزال عنه الدّرن بالغسل والتوبة تجُب ما قبلها من آثام .
فهل الإعتِذار كافٍ ليُزيل عن القلب كدمته !

بادرت أحمل ساقاي لأصل حجرة والدتي ، كان هذا أثقل مشوار عليّ في حياتي .
أكثر من كل الأميالِ الكثيرة التي قطعتها باحِثا عنكِ حتى ..
لا اخونك ولكِن هذه هي الحقيقة ، فقداستها لا يوازيها مخلوق في هذه البسيطة كلها .
طرقت عليها طرقة واحدة خافتة ، وسرعان ما فتح الباب وادلفت برأسها باسمة ..
- تفضّل يابُني -

كم أحسست بالراحة وكأنني وُلِدت مرة أخرى .

لا أعلم كيف يجتمِع ضِدّان معا بهذا الشكل المُريب في شخص واحد .
مهما قست الأم فقلبها حنون ومهما جفى أبناؤها فهي محبة عطوفة في كل حين .

إحتضنتُها لأولِ مرة في حياتي وبكيت كثيرا وهي تربت على كتفي المُثقَل قائلة: بني إن لم تعلَم بأن صافرة الأوان قد أنّت لتُبصِر نفسَك جيدا وتلتقي بقلبٍ جديد كليا عن السابق فالآن هذا وقتُك .
اول الخطوات أصعبها وما بعدها جميل جدا ، أن تقسوا عليك الأيام فهذه نعمة هي تصقُلك وتُحيي فيك ما كان ميتا .
تُضيفُ لبصيرَتك ألوانا كانَت مفقودة وتنزَع عنك أحمالًا عالِقة يحتاج نزعها لزمن طويل .
تشد عودك فتقيمك بعد إنحنائك وتقرب لك الافضل والأمثل ..
وبعد هذا الحوار والبكاء والإعترافات الكثيرة التي استمرت لساعات بيننا، خرجت وعيناي لا تستطيعان ترك والدتي ..

الفصل الثامن

سُفُن الوصول

الكل يجري حينما تنبلِج في سمائِه الفُرصة أيا كانت، لعمل أو منصب أو دراسة في أفضل المؤسسات العلمية .
أو حتى لحل مُشكِلة صعُبت عليه أو البحثِ عن إجابة سؤال ظلّ كثيرا يطرِق على ذِهنه، فلمّا رأى عزيزُ مِصر في قصة سيدنا يوسف عليه السلام تِلك الرؤيا التي غيّرت مجرى الحُكم ورَفعت عبدا صالِحًا لله درجاتٍ في الأرض، وأرّقته صعد سفينة البحث هو أيضًا .
فسأل الملأ حوله بقوله: أفتوني في رؤياي

ولكن هل كل الركاب يستطيعون إفادتك، كانت إجابتهم للملك أن هذه أضغاث احلام وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين .
أوصدوا باب السؤال أمام العزيز بتقليل أهمية الحلم الذي فعل ما فعل، وجرحوا كِبرهم عن طريق إدّعائهم بعدم العلم صبوا لأغراض أخرى ..

فبَرَز الذي كان يأخُذ مصالِحه في القصر بعدما نجا مِن السجن وأتى بالإجابة من يوسُف ..

واتضح أن الملأ هؤلاء يشبهون السبع بقرات العِجا ، يأكلن ولا يعطين !

هكذا هم الرُّكبان في كل متن؛ فكل مسافر سفير لماهيته الحقيقية وأخلاقه التي إما نضحت أو طمسها جوع الطريق ..

ما زلت أستغرب كثيرًا حينما أطلب معلومة من زميل لي في مجالي، فأجد منه التسويف أو التجاهل أو حتى أن يُحاول تقديمها لي بشكل غير واضِح عن قصد ثم يتولى .

باتَ الحسدُ خِصلة لا بُد أن تكون في من يجمعهم مجال أو مكان أو زمن، وأصبح المرءُ لا يستطيعُ إحتِمال رؤية من هو أفضل منه وكم يحب أن يلقى أناسا أقل منه درجة لتسنح له إمكانية التعالي .

لكن لا أعتقد أن هذا ما صنع هشاشة قلبي، فبالكادِ أحتمِل النقاشاتِ السلبية والأصوات العالية .
الأمر معتاد إن كان في إطار معارف العمل أو الدراسة فقط .
لكنني لا أعلم لماذا يطرق التوتر بعنف على أبوابي و الخوف له رائحة تسبقه إلي يتراقصان بداخلي وأنا أحترق .
كيف شبّت النار في الجزء الذي يخصمي من السفينة و لِم اختارتني دون غيري .
فالصراعُ مع الحرارة مُر وصعب خصوصًا إن كنت منفردًا لا عون لي .
تآكلت كل أمتِعتي ولَم يبقَ لي سوى رِداءً واحد مزّقته ألسِنة اللهب، لا أحد يفكر أن يعيرني ولو أسمالًا قديمة ولا شخص يشاركني ما أنا فيه .
الكل لا يشعر بهذا الحر وإن شعروا لن يفهموا إطلاقًا ..

ماذا تظنين وأنت تقرأينَ كلماتي هذه!
أنني ضعيف!
وحيد!
مجنون أو أتوهم!
بالكاد تعرفين الفرق بين الهشاشة والضعف، فأنا لست ضعيفا يا عزيزتي بل تؤثر بي كل الإحداثيات الضاغِطة فحتى الحجر يُنسَف والدنيا تملك الرحى لتعركنا هكذا باستمرار .

لا أخفي عليك أنني بدأت أتقبل حياتي الجديدة هذه بما نقُص مني وما أُضيفَ لي، أخبرتك قبلا أنني أجمِعُ أُحجية صعبة للغاية تتبدل فيها الأشكال كل مرة ويبقى شكل دواخلي المألوف وحيدا بالمنتصف .
بالأمس كنت لا أملك طاقة افكر فيها حتى ، والأن تغير الوضع وأسعى للإصلاح ولكن
ما السبيل في تغيير ما نَقشته الظروف على خواطِري؟

في حقيقة الأمر أنني ما عدت أحتمل الصراخ، تُفزعني النبرات العالية وترتجِف أطرافي إثر وصدة الباب ..
عيناي تغرقان بالدمع حينما أرى الإستياء على وجوه من أحِب، فأنا أعلم جيدًا كيف هو وكيف يغدُر بالأحبة ويقطع بينَهم حبل الوِصال المتين بكل سُهولة .
حساس !
نعم يا عزيزتي قد صنع العالم مني شخصا يشك حتى في إستمرارية اللحظات السعيدة، حتى ولو لدقائق مُقبِلة .
أخبريني كيف أعودُ العادية التي تسود على الكُل الآن، وهل إن عُدت سيكون الأمر آمِنًا أم أنني سأنقلِب وحًا على هيئة إنسان!

لقد اعتقلوا السُّفن لأجلِ غاياتِهم المادية ، وأنا أصبوا لغاية الأمانِ فحسب.

الفصل التاسع

الرّباط المُقدّس في زمن اللفافاتِ الخلابة

لي صديق مفطور على الحب كما فطر على تناول الطعام ، كحال كل من هو إنسان !
لا نِقاش في هذه المسألة فهيَ مُسلّمة جُبِل عليها بنوا آدم بلا إستثناء..
يكبح مشاعره طوعًا لدرجة أنه لم ينطق أو يكتب أو يذكر تلميحا من قبل عنِ الحب أبدًا، ولم يتطرق في حديثه مع صديق أو عزيز فيما يخص هذا الأمر .
كان يتحاشى تلك الفعاليات الشبابية مثل ' صراحة وجرأة ' كي لا يصيبه سهم سؤال لا يستطيع إجابته .
شاهِرا سيفَ الدفاعِ عن نبضاته التي في غُمدِها لم تنكشف .

والآن أحكيها لكِ انا بالنيابة عن صديقي المكلوم ، الحب مكتوب بِبَزخٍ مُمِل منثور في كل قصيد، مغزولٌ معسولٌ مُنكّه كثيرا .
لا احبذ الكتابة فيه، أراه بعيني فقط واقرأه باشمئزاز من فكرة أنه كثير للغاية في كل مقروء ..
ولكن الإستثناء هنا أن
صديقنا هذا يا عزيزتي شخص عفيف، جمع الحب فيه متناقضات كثيرة .
أبكاه وأسعده، طمأنه وأقلقه وكله كان بصِدق عميق .

أحب فتاة لاتُشبِه مثيلاتِها أبدًا، في نقاءها وصفاء نيتها تجاه كل من يعرفها كانت عادية جدًا في نظر الجميع سواه فلم تكُن تلك التي تُلفِت الناظرين تبرُّجا ولا صوتا بقهقهات عالية كما تفعل الفتيات .
ولكنها لفتت قلبه بهدوءها الصارم، لم يكن لها ضجيج سوى نقاشات علمية في أحد الصالونات الثقافية أو خطوات عاجِلة وهي تنزِل من سلم الشرِكة التي يعملان بها .

لم تكن تلك التي تهتم للغوغائيات ، ولا من تهدر وقتها فيما لا يفيد ..
حقا يميزها الكثير ولكن السبب الأساسي الذي أسر صديقنا في عالمها لم يكن معلوما له حتى الآن، لربما طيبة قلبها حينما تجد طفلا حزينا فلا تقوم عنه إلا وقد ضحك ولربما حبها الشديد للنساء الكبيرات في السن حينما تأتي إحداهن لزيارة إبنها الذي يعمل في ذات الشركة .

فكر كثيرا في أمر الزواج منها وباتت كل المحاولات تنتهي مباشرة حينما يرى وجهها .
وفي المرة التي استطاع فيها انتشال معلومات عنها للوصول إلى بيتها حيث تقطُن لطلبِها من أبويها ، وقفت أمامه متطلبات المجتمع المعاصر مقابل السماح لإثنين متحابين بأن يربطهما الرباط المقدس .
كم أهلكوا بها قلوب المحبين جفاءًا ورهقًا.

تقدم لها خلال إجازة منتصف العام وتمّت موافقة أهلِها على هذه العلاقة الشرعية !
فبات بيننا وعد واضح منه للكل بالزواج من هذه الفتاة .
وأتى اول موقف بينه وبينها هي واهلها , طلبوا منه مائة جرام ذهب وتقود إضافة لحاجيات تشترى للمخطوبة وتكاليف صالة أفراح وعربة مذهبة وفستان ملكي وماكياج خيالي تكلفته تساوي تكلفة شهر كامل من المصروفات لذوي الطبقة البرجوازية .
عاد إلى منزله وهو يتملكه الإحباط !

وكان أطنانا من الأوزان وقعت على ظهره ، فتح هاتفه ولا يزال يفكر متعجبا كيف وكيف !
إنها مجرد خطبة لا نعلم هل ستستمر لينعقد الزواج ام لا ، وكيف لفتاة بهذا المستوى من العلم أن يكون أهلها بهذا المستوى من الجشع !
وهل هذا خيارها الخاص أم أنهم يفرضون علي عاداتهم السائرة في كل من يتقدم !
ولأول مرة بعد كل هذا التفكير قام بمحادثتها ، أرسل لها مستفسِرا بعد إلقاء التحية: هل أنت من كتب هذه القائمة التي أعطتني إياها والدتك؟
ردت قائلة : أي قائمة يا هذا، هل لك أن تقوم بالتقاطها لي ؟

تفاجأ جدًا من ردها، راوده أنها يمكن أن تكون على قدر بسيط من التركيز لسبب ما ولكن أرسل لها صورة القائمة وسرعان ما أدلفت بهذا الرد : !!!!!!!!!!!؟
هل أعطتك إياها والدتي ؟
قال لها مازحًا: ألا يبدوا لك خطها واضحًا أم أنك لا تعرفينه؟

ردت بتعبير مبتسم ولم تعد إلا بعد ثلاث ليال طرقه فيها الإنتظار بعنف غير مسبوق .

كان يجلس بعد غروب الشمس على شرفته يفكر بها كالعادة ، فباغته منها إتصال وكانت أول مكالمة مطولة بينهما وقد كانت الأخيرة أيضًا، إختصار مافيها أن أهلها لن يسمحوا لها بالزواج من شخص لا يفعل ما يطلبونه منه لأنها تستحق اكثر من ذلك ..

شخص مثله لا يملك
سوى شقة على مقاسه ومصدر دخل يكفيه للعيش بسلام !
وقلب عطوف محب لا يقسوا ولا يُضيع .

لماذا أصبح الزواج صعبا هكذا؟ لِم يقومون بتضخيم التفاصيل وإعطائها أكبر من حجمها !
عزيزتي
إنني أفهم جيّدًا إحتياج الفتيات وأهاليهم للتعبير عن فرحهم .
ولكن ليس لدرجة أن يضعوا ماكياج ليوم واحد بل لعدد من الساعات القليلة بسعر الدبلة التي ترتديها العروس !

ماذا يفعل الفقراء الذين لا يملكون ثمن حفل بسيط حتى !
ماذا يفعل الشباب الذين جمعوا حصاد عمرهم ثم انتُكِبوا فيه فجأة ..

والغريب في الأمر أن العلاقات التي هي خارج إطار الشرعية، منتشرة للغاية وسهلة بطريقة مُريبة، لا اكاد اجد شابا أو فتاة في مواقع التواصل الإجتماعي لا ينشران عن أحبائهم وماذا فعلوا وأين ذهبوا .

ألم تلاحظي أن غالبية رواد المستشفيات النفسية بل نِصفهم فتيات!
مصابون بالإكتئاب والسبب أنه تركها بعد علاقة دامت لسنين!

لِم لَم يتزوجكِ !
لماذا لَم يقم بخطبتك على أقل صعيد !

لم تسمح له الظروف، كم هو عيب حقًا كيف أغلقوا باب الحلال أمام الخُطّاب بكثرة المطالب، وبالمقابل أفسحوا لهم طريقا من الشباك ..

لُعبة المرضى في ساحة المرعى

تسألينني عن الغُربة يا طيبة الفؤاد، ماهي الغُربة في منظورك؟!
أن يسافر المرء بعيدًا عن الموطِن فيكون غريبًا بين غرباءه، ذليلًا بين أعزاء يمشون تبُخترًا في أراضي ممالِكهم ..

ألم تعلمي بأن للوطن غُربةً أيضًا !
كيف يكون المرء شاذًا بلا سبب يذكر عاديَّته مُلفتة للأنظار و تميزه غير ملحوظ أو مسفوه عن قصد .
لا يتسابق مع القطيع كي يرتدي احدث صيحات الموضة و لا يمسك بهاتفه كي يصور أكلة شهية لرفعها على تن توك أو بلستجرام، بطبعه يحب الإجتماعات العائلية كي يتلذذ بدفء ضحكات الأحبة واسترجاع الذكريات، لا من أجل أن يمسك كل فرد من الحاضرين بهاتفه النقال الذي لا يفارقه حتى عند النوم فهو تحت الوِسادة.

غريبٌ أنا بين المُتشابِهين، توجَد مئات النسخ من الشخص الواحِد في كل مكان ..
نفس النظارات الشمسية وذات النّمط العالمي للأحذية والشعر المموج و المعقوف ..
لا أدري كيف استطاع التجار والإعلامُ الضحِك على البشر بهذه الطريقة، صنعوا مِن عقول الأغبياء ثرواتٍ لا تُحصى ..
عن طريق أسامي ورقصات وتصنيفات الماركات .

وتسألينني ما الغريب في هذا !
الغريب يا عزيزتي أن المرء أصبَح وامسى مشغولا بهذه الأشياء على الدوام لا وقت للآخرين حتى وإن كانوا أهل بيته، يتسوقون في كل ساعة وحتى في نهاية الشهر عندما يضعُف المخزون المادي يقومون بوضعِ السلع داخل التطبيق في خانة سلة التسوق .
يتصفحون كل ماهو جديد، ويرغبون دومًا في المزيد والمزيد ..
حاضرون بأجسادهم فقط فهم في الحقيقة غائبون عقولهم مع الهواتف النقالة والشراء !

ولا أنسى أن أقول لك إن الشركات والأفراد الذين يمهدون مراعي التسوق، قاموا بإبتكار طرق شنيعة لسلب العقول أكثر فأكثر كأن يدرسوا الحالة النفسية للمشتري وتأثير الألوان والأصوات وحتى الملامِس على الإنسان .

فحاكوا من الأمر خدعة تدعى ' هوس التسوق ' ، نسيت انك تحبين الإنجليزية خصوصا فيما يتعلق بالعلوم
إسمه ' oniomania ' ,
وهو حالة نفسية تدعو صاحبها للشراء الكثير وحب الإقتناء مثل من لديه شره في تناول الطعام فهو يأكل لحاجة ولغير حاجة .

وتمت صناعة خيوط الخدعة عبر موسيقى معينة والوان مبهجة تؤثر على حواس الإنسان فتجعله متعلق بالإعلان الذي شاهده، فتجد باله مشغولا بتلك السلعة التي يجب عليه تأمين ثمنها أو التفرغ والذهاب لشراءها ..

أصبحت الأوطان مراعي يرعى فيها أصحاب الشركات مرضى الموضة وهوس التسوق ..
ويقومون بصنع المنافسات بينهم لأغراض المتعة، الرفاهية، المظعر الإجتماعي ..الخ .
يصنعون الرّغبات، ثم يُشبِعونها واحدة تلو الأخرى ويصنعون لعبة أخرى يتنافس فيها المتنافسون أيضًا .

هذا كله قد يبدو لك عاديٌّ جدًا، ولكن دعينا نذكر الأهم ..
فتخيلي أن تظني أنك تتحركين بخيارك وتاكلين كما ترغبين وتعيشين حياتك وأنت حُرة، ولكنك في الأصل داخل قفص كبير وُضِعت أمامك فيه هذه الخيارات المحدودة ووبُرمِج عقلك بخوارِزمية معينة تجعلُك نِصف آلة مُبرمجة ونِصف حيوان يبحث عن الرغبات !

هذا أمر صادم إن تكلمنا عن حقيقته، فالعالم الآن يحكمه الإعلام الحديث وهذا يسجل أبديتنا أنا ومن يوافقني الرأي في عالم الغُربة.

فِصام

ماذا إن كنت شخصًا عاديًا جدًا بين الناس، لستُ شفافًا في سجيّتي تظهرُ مشاعري على وجهي..
وهذا ما جعلني غيرَ ملحوظ المشاعِر فنحن لسنا في صفوف المدرسة، حيث يقوم المعلم دوما بتسليط الضوء على الصامتين المختبئين في المقاعد الأخيرة من الصف.
هنا لا أحد يهتم بهؤلاء أبدًا ولا أحد يفهمهم، أحيانًا حينما لا يجد العامة غرضًا ينشغلون به يقومون بإطلاق تصنيفات غير صحيحة على من هم مثلي، كأن يقولوا أنني شخص عنيد أو مِزاجي، وتظل هذه مجرّد إستنتاجات واهية لا أصل لها من الصحة.
وما الفائدة في الحديث عن الغير دومًا!
لا يكاد يخلوا مجلس من قهقهات تُطلق بعد تعليقات قيلَت عن فُلانة لماذا خرجت دون مكياج أو فُلان حينما كان مُرتديًا قميصًا أزرقًا مع بِنطال ذهبي ..
أرى أن الغيبة وجهان أحدهما جميل والآخر قبيح؛ فالقبح هنا معلوم للكل ولكن الجميل في الأمر أن الذين أُنتُهِكت أسمائهم في الغيبة أشغَلوا الناس عن مُهِماتِهم اليومية و حياتهم الخاصة للحديث عنهم .
توجد ملايين الأشياء التي يستطيع المرء فعلها عوضا عن تضييع الوقت في الحديث عن من ليس موجودا ، توجد الكثير من العيوب في بشرات الفتيات تحتاج إلى الحديث وملايين الطرق لإقناع مدراء العمل بتمديد أيام العطلة والكثير من الرسامين الذين تحتاج لوحاتهم إلى أعين تنظر إليها .

وإن كان الأمر محبّة للإنتِقاد , فالعالم يحوي آلاف منصات عرض الأزياء والسيارات و كتب عالمية ومحلية تريد من يقرأها ويعقب عليها في صالون مثل الذي عقد لإحتساء دم الغير في فناجين القهوة !

ألا ترين انّه من الصعب علي التعايش مع هذا المُجتمع

وإن أردتُ أن أمضي خطوة واحِدة بينهم لن أستطيع إلا بدفع ضريبة المشي معهم ، وهي أن أخدِش سجيّتي المعتادة وأُرغِم نفسي على مجاراتِهم في كل شيء ..
وهذا ثقيل جدا على النفس

لا أستطيعُ التعايُش بقلب بارِد ، فالكُل مشغول في جمعِ المال الذي فاق الحاجة .
ومُتابعة تلك المستديرة الجلدية التي جعلت من البُلهاء عبيدا لها .
كيف للعبة أن تفعل هذا بالشباب والفتيات أيضا ، صراخ وهستيريا وحُزن والكثير جدا والسبب كُرة !
لا أرى ما يجعلني أنتمي إليه سوى العزلة والهدوء ، وحينما يقتلني الملل أتصفح الإنترنت أو أقرأ كتابا أو أكتُبكِ في أوراقي ..
فأنا غريب ينفصل عن نفسه حينما يخرج للعالم ، كمن يعاني فِصاما واضِحا في شخصيته ، وهذا مُرهق جدا ولكنه إجباري لمُزاولة هذا العالم .

على ليلِنا الداكِن نحنُ الذين يؤرِقنا الشوق لموعِدٍ مجهول يخبئه القدر
نتمنى لِقاء أحِبة الزمن القديم ، رغم أننا الآن مُختلِفون عن السابِق ولكِن تظل الروح كما هي ، تشتاق وتحن
وتجفو أيضا ..
متناقضون نحب ذات الشخص ونكرهه في ذات الوقت ، نرجو ابتعاده ونعوده بالذكريات على ال
الوِسادة ليلا .
كلنا هكذا ، حتى الراحلون بعد هجرِهم يصرُّون على دق أجراس قلوبنا وتعذيبنا بالعزف على أوتار المحبة العالية .
يرسلون أطيافهم بين الزحام ملامِحهم في كل الوجوه ، يستغرِبك الناس حينما تتفرّس وجوههم وفي ذاكرتك الف شريط يُعاد .
ينسون روائح عطورهم المفضلة في شتى المقاهي، أليس هذا ظُلما !
أن تود احتساء كوب من القهوة فتشربه بنكهة الدموع.
لا بأس بكل هذا ولكِن ماذا إن ماتَ شغفك مع رحيلهم، ورحلت معهم كل الطموحات لأنهم لم يدعوا حلما واحدا دون مشاركتك إياه.
فأصبحت رفقتهم دافعك الأساسي والآن لا رفيق.
كل الأبناء يريدون تحقيق أماني آبائهم، وسُلبت إرادتي في ذلك حتى، فالإرادة شيء أساسي دونه أنت كماكينة لتبريد المياه نفذ مخزونها.
لا فائدة منها ومنك ..
أخبريني هل يستطيع طقس ما إعادة شغف قديم!
دون الأشخاص الذين شاركناهم، وهل إستطيع إعادتي إليّ بعد كل هذا!
الحِكمة أن العافية بعد السّقم شُعِل فيك الحماس وتُجدد روحك الإيجابية لفعل الخير، والبلاء بعد الصحة يجعلك تُدرك قيمة العافية فتشكر الذي أعطاك إياها برضى عظيم ..

هذا ما بقي مني جسد سليم وروح راضية بكل شيء، ولكن عودة الماضي مستحيلة، كإستحالة إنعاش قلبٍ مات مُذ زمنٍ طويل.

النهاية